عِنَبٌ لَذِيذٌ.. وَلَكِنْ

تأليف

أحمد محمّد علي صوّان

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

obeikandl.com

obeikandl.com

عِنَبٌ لَذِيذٌ.. وَلَكِنْ

obeikandl.com

عنبٌ لذيذٌ... ولكن!

جلسَ صلاحٌ يُراجعُ دروسَهُ بِجِدٍّ في حديقةِ منزلِهِ، مع ابنِ عمِّهِ عمّار.

كانَ صلاحٌ يقرأُ باهتمامٍ، ويضعُ خطًّا تحت الفكرةِ التي يراها مُهمَّةً، ويُكرِّرُها مرّاتٍ لِيَسْتَوْثِقَ[1] من إتقانِهِ لها، فالامتحان باتَ قريبًا. وكانت عينُ صلاحٍ تلمح عمّارًا بينَ فَيْنَةٍ[2] وأُخرى، وهو شاردُ الذِّهْنِ، لا ينظُرُ في كتابِهِ، بل يحرِّكُ الترابَ بعودٍ صغيرٍ يابس...

(١) ليستوثقَ: ليتيقَّن ويَتثبّت.

(٢) فَيْنَةٌ: مُدّةٌ قصيرةٌ.

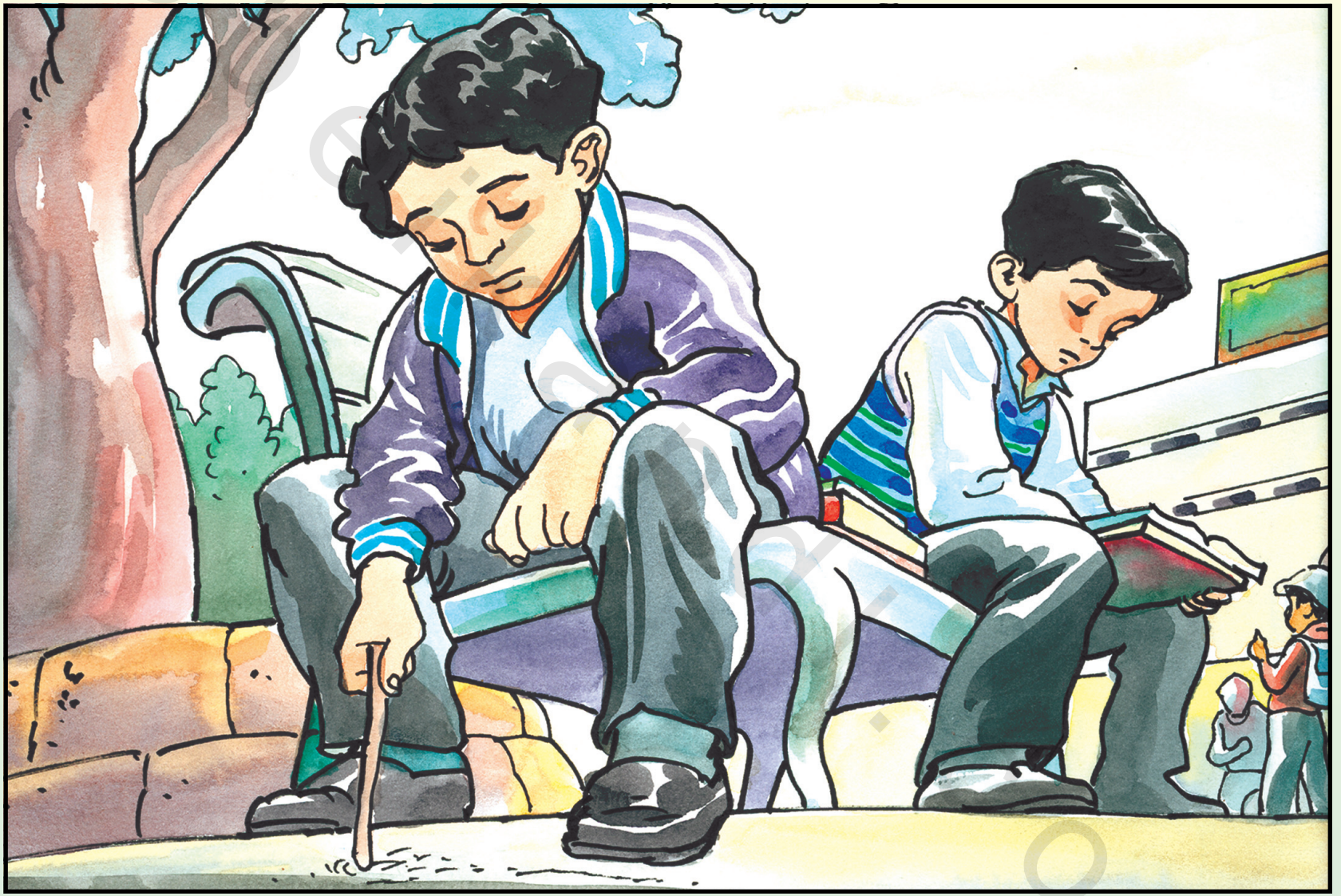

لم تُرضِ هذه الحالةُ صلاحًا، فأحبَّ أن يقطعَ عليه شرودَهُ عن دراستِه...

صلاح: إلى أين وصلْتَ في الدراسةِ يا عمّارُ؟

عمار: أَنهيتُ فصلاً، وأميلُ إلى اللَّعبِ قليلاً؛ فالمكانُ مناسبٌ... ما رأيُك؟

صلاح (مُتعجِّبًا): أَنهيتَ فصلاً كاملاً بهذهِ السرعةِ؟!... ابدأْ غيرَهُ إذن!

عمّار: سأعودُ بعدَ أنْ ألعبَ قليلاً.

صلاح: سنلعبُ معًا بعد قليل. انتظرْ حتى أُنهيَ درسَ الفاعل.

في هذه الأثناء صارَ عمارٌ في وسطِ الحديقةِ، فلم يسمعْ كلَّ ما قالَه ابنُ عمِّه صلاح.

رأى عمارٌ درّاجةً فانطلق بها في الممرَّات الفاصلةِ بينَ الأشجار، ثُمّ انتقلَ إلى الأُرجوحة،

وبعدَ ذلك صَعِدَ سُلّمًا ليقطِفَ عِنبًا، وراح يقطِفُ العِنَبَ ويأكلُ، وينادي صلاحًا ساخِرًا من مُكثِهِ الطويلِ للدِّراسة...

وبعد ساعاتٍ من الدِّراسةِ واللَّعِبِ، عادَ عمارٌ إلى منزله مُتعبًا.

رَأَتْهُ أمُّهُ وهو على هذهِ الحالةِ، فَأَشْفَقَتْ عليه، وقالت:

- ما هذهِ الحالةُ التي أنتَ عليها يا عمارُ؟ أَلهذا الحدِّ أَتْعَبَتْكَ الدِّراسةُ يا بُنيّ؟!

عمار (مُرْتَبِكًا): نعم يا أمّي!

الأم: وفَّقَكَ اللّٰهُ يا بنيّ. وكيف حالُ صلاحٍ وأمِّه؟

عمّار: بخير، وهم جميعًا يُسلِّمون عليكِ، وسيحضُرونَ لزيارتِنا بعدَ الامتحان.

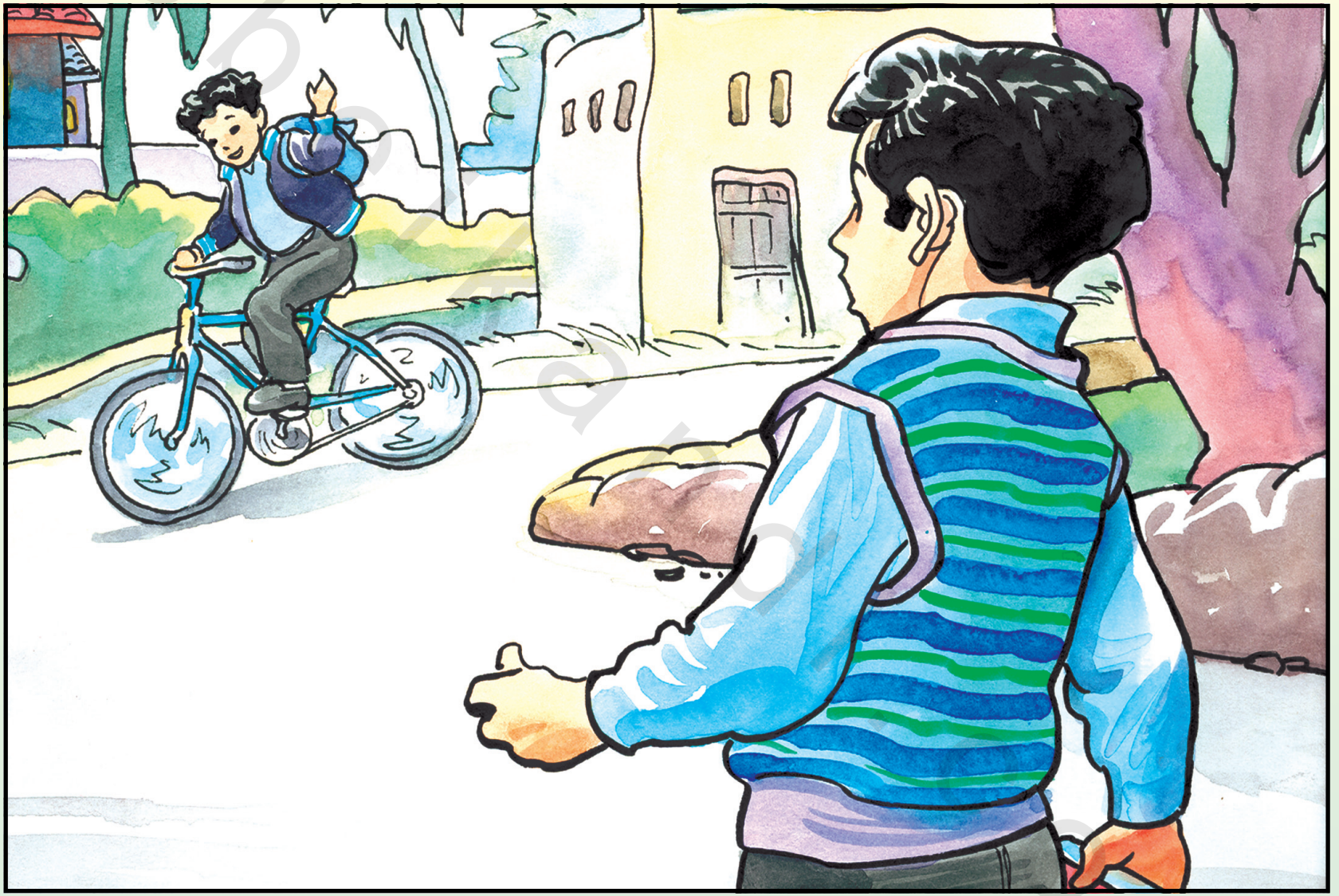

شعرَ عمارٌ بألمٍ في مَعِدَتِه، فلاحظَتْ أُمُّه ذلك، وقالت:

- ما بِك يا بُنيّ؟

عمار: لا شيءَ يا أمي، أَلَمٌ يسيرٌ في بطني.

اشتدَّ الألمُ شيئًا فشيئًا؛ فأحضرَ أبو عمّار الطبيبَ لابنه، فعرفَ السببَ من خلال مُعايَنَتِه، وقال له:

- لقد أكثرْتَ مِنْ أكلِ العنب يا عمّار. والأخطرُ من هذا أنَّك لم تغسلْهُ.

انصرفَ الطَّبيبُ بعد أن وصفَ له الدَّواء، والأهلُ يدعون اللهَ له بالشِّفاءِ العاجلِ؛ فالامتحان على الأبواب...

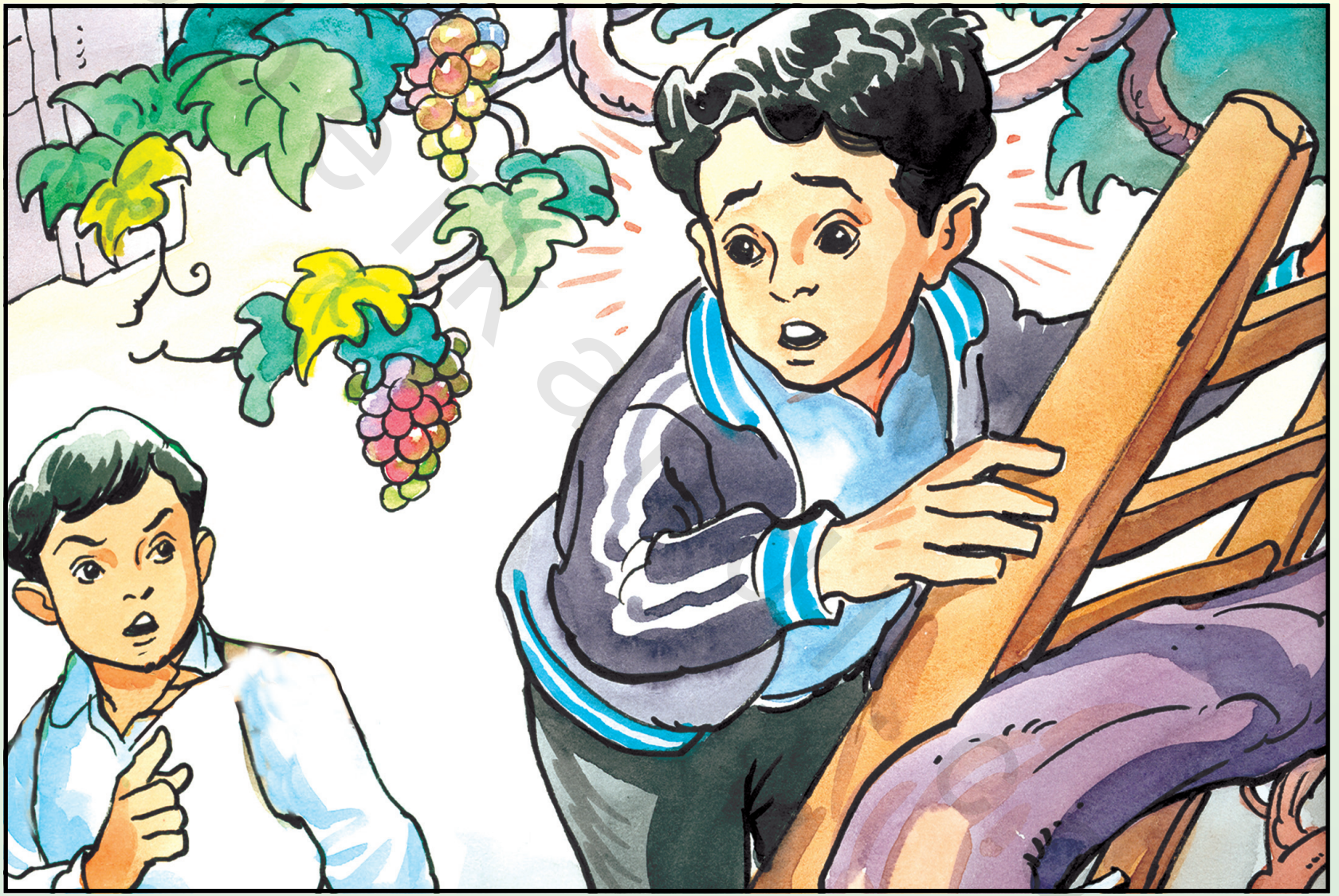

بعد أيام... عاد عمارٌ إلى ابن عمِّه يدرسُ على طريقتِهِ السابقة: دِراسةٌ تارةً ولَعِبٌ تاراتٍ. ولكنَّه اعتدلَ في أكلِ العنب، وصار يغسلُهُ!

وفي اليوم التالي خرج صلاحٌ من فصله بعدَ الامتحانِ النصفيِّ مرتاحًا مسروراً، ووقف مع ثُلّة[1] من أصدقائِهِ يتحدثون كيفَ أجابوا عن الأسئلة، ثمّ خرج عمّار من فصله كَئِيبًا كاسفَ[2] الوجه، وابتعد عن صلاحٍ وجماعتِهِ استحياءً منهم، وأوى إلى رُكنٍ بعيدٍ في المدرسة...

رآهُ صلاحٌ فلحِقَ به...

صلاح: كيفَ الامتحانُ يا عمّار؟

---

(١) ثُلَّة: مجموعة.

(٢) كاسف الوجه: عابس الوجه.

عمار: كانتِ الأسئلةُ صعبةً جدًّا يا صلاح؛ أرجو ألا تكونَ أسئلةُ الامتحانِ الأخيرِ مثلَها.

صلاح: لا يا عمار. بل شَغَلَتْكَ الدَّراجةُ والأرجوحةُ و...

عمار: هذا صحيحٌ يا صلاح، صحيحٌ ما تقولُه... كم أنا خَجِلٌ من نفسي! ومن أهلي وأصدقائي!

قال عمّارٌ هذه الكلماتِ بأسىً ومضى... أسرعَ صلاحٌ نحوه مناديًا:

- عمار... عمار...

عمار: نعم يا صلاح. ماذا تريدُ؟

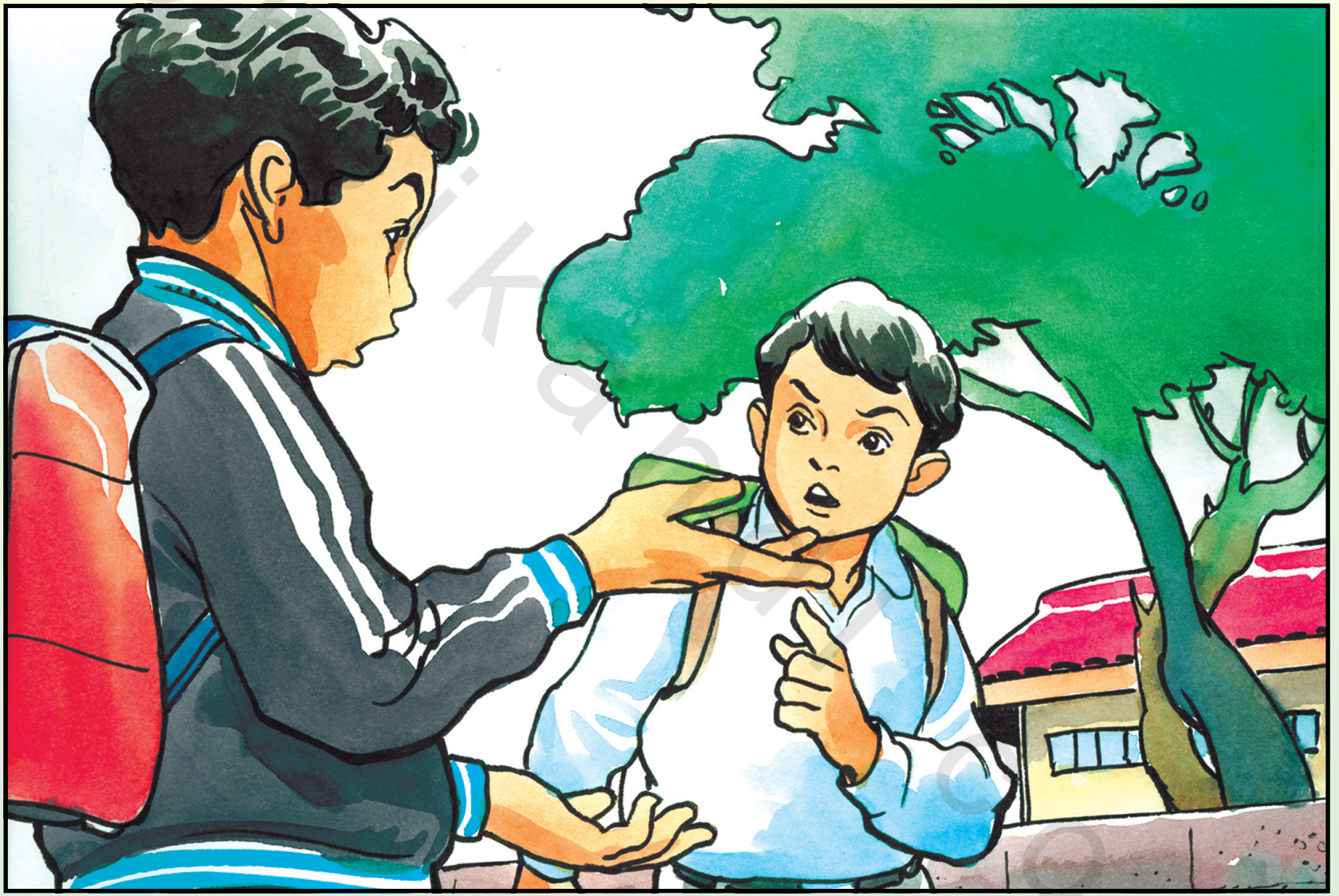

أدركَ صلاحٌ أن عمارًا متأثّرٌ جدًا، ويحتاجُ إلى مَنْ يَمُدُّ له يدَ العون، وأنَّ هذا الوقتَ مناسبٌ؛ فعمّارٌ يشعرُ بخطئِهِ هذهِ المرّة، ولا يُكابرُ...

صلاح: بماذا تفكّر يا عمّار؟ اصْدُقني.

عمار: أريدُ أن أدرسَ معك في كلِّ امتحاناتِنا، هل تقبلُني؟

صلاح: بكلِّ سرورٍ، ولكن على طريقتي!... بعيدًا عن عريشةِ العنبِ!

ضحك عمارٌ، ووضعَ يَدَهُ على بطنِهِ مُتذكرًا ما حصلَ له، ثم ضَحِكا معًا.

عمّار (بفرح):

- بذلك يَسْلَمُ عِنَبُكُمْ من شَرِّي!

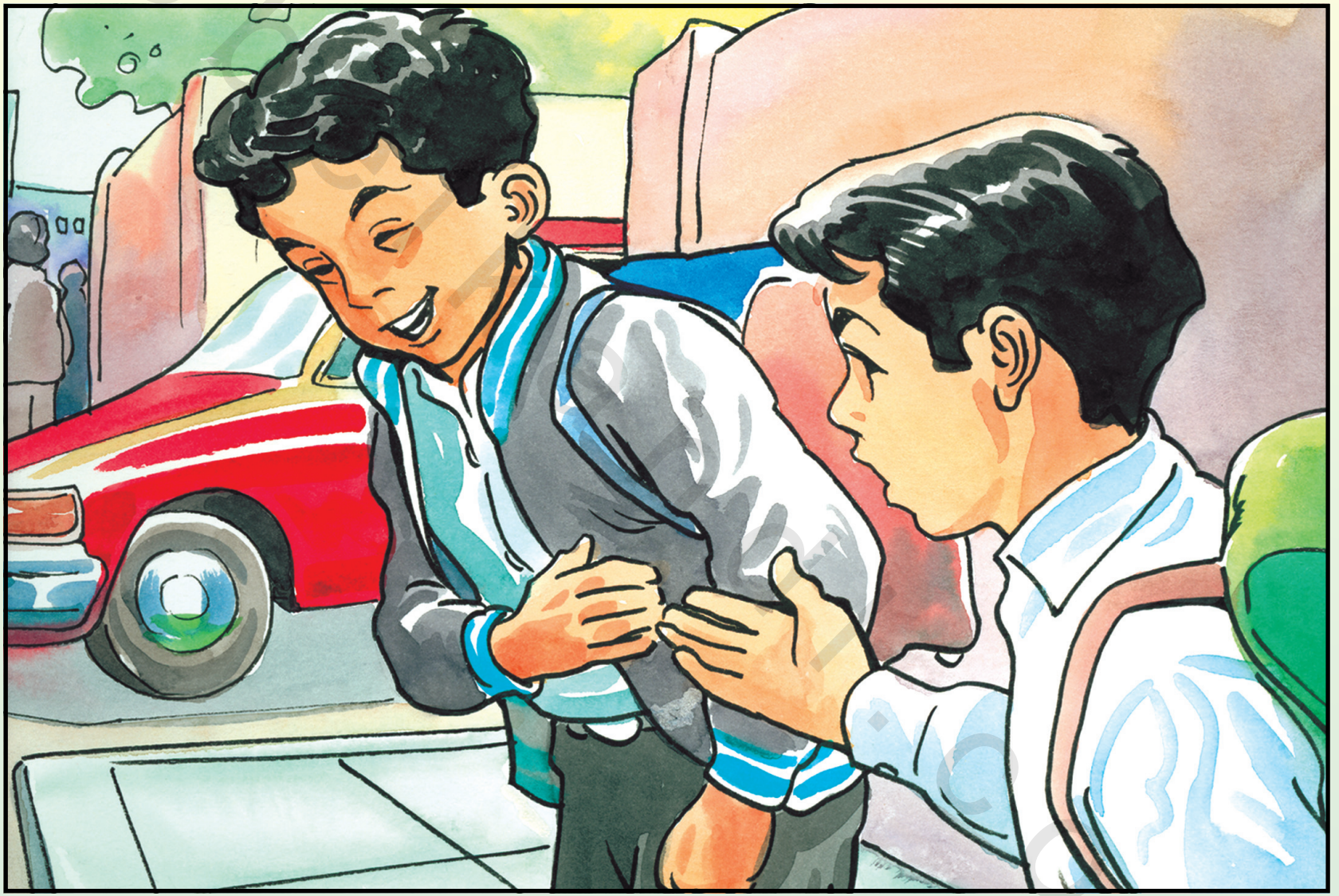

صلاح : بلْ تسلمُ مَعِدَتُكَ من شَرِّ عِنَبِنا !

بدأَت حبّاتُ المطر تتناثرُ ؛ وصارت تغسِلُ الدروبَ ، وتُنعِشُ القلوبَ .

أسرع الصديقانِ القريبانِ والأيدي مشدودةٌ متشابكةٌ في هذا الدّربِ الجميل . . .

* * *